تشبيه القران ولسخه بما يتوله له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته
بقوله حمر توكيه لها ومناداة عليها تنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى
جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كانه
اجمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من وجهين من جهة العظم
ومن جهة الطول في الهوى والعظم والصفرة انتهى وكانه قد قال قبل ذلك
تعليل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا ترى انهم يشبهون
الابل بالافدان والافدان القصور كانه يشير الى قول عنتره
فوقفت فيها ناقتي وكانها ❊ فدن لاقضي حاجة المتلوم ❊

فصل قال القرطبي القصر البناء العالي وقيل القصر جمع قصرة ساكنة
الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة والقصر الواحد من جزل الحطب الغليظ
وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع
وقطع وقيل اعناقه وشبه الشرر بالجمال الصفر وهي الابل السود والعرب
تسمي السود من الابل صفرا قال الشاعر
تلك خيلي وتلك ركابي ❊ هن صفر اولادها كالزبيب ❊
اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانه يشوب سوادها
شي من صفرة قاله الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة ان يكون
من يشوبه شي قليل فينسب كله الى ذلك الشي فالعجب ممن قد قال
هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا يعلم شي من هذا في اللغة والجمالات
الجمال وقال الفرا يجوز ان يكون الجمالات بالضم من الشي المجمل يقال اجملت
الحساب وجا القوم جملة اي مجتمعين والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شي
مجموع غليظ اصفر قيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لتتابع بعضها
بعضا **قوله** هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون قوله انطلقوا من كلام
الملايكة ثم يقول الله لاوليايه هذا يوم لا ينطق الكافر ومعنى اليوم الساعة
والوقت وزيد بن علي والاعرج والاعمش وابو حيوة وعاصم في بعض طرقه
بالنصب وفيه وجهان احدهما ان الفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم
والثاني انه منصوب على الظرف وانما اخبر بهذا على ان يشار به للاحداث
من الوعيد كانه قيل هذا العقاب المذكور كاين يوم لا ينطقون وكما تقدم
اخر المايدة ما يشبه هذا في قوله تعالى هذا يوم ينفع الا ان النصب متواتر
قوله ولا يؤذن العامة على تسمية الفاعل وحكى الاهوازي عن زيد بن
علي ولا يؤذن بتسمية الفاعل وهو الله تعالى وقوله فيعتذرون في رفعه وجهان
احدهما انه مستانف اي فهم يعتذرون قال ابو البقا ويكون المعنى انهم لا
ينطقون نطقا ينفعهم او ينطقون نطقا في بعض المواقف ولا ينطقون في
بعضها والثاني انه معطوف على يؤذن فيكون منفيا ولو نصب لكان
متسببا عنه وقال ابن عطيه ولم ينصب في جواب النفي لمناسبة
الاي والوجهان جايزان انهما بمعنى واحد وليس كذلك لان المرفوع له معنى
غير معنى المنصوب والى هذا ذهب الاعلم فيرى نفي الفعل ويكون معناه
النصب ورد عليه ابن عصفور وقال الفرا في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
الفا عطف على يؤذن واجيز ذلك لان اخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا
لم يوافق الايات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا وكله صواب ومثله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالرفع والنصب

فصل هذا نوع اخر من انواع تخويف الكفار لان الله تعالى بين انه ليس لهم عذر
ولا حجة فيما اتوا به من القبايح ولا لهم قدرة على دفع العذاب من الله
واعلم ان يوم القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون
فيها

فيها ولا يعتذرون روى عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنه سأله
ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا
فقد قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له ان الله تعالى
يقول وان يوما عند ربك كالف سنة فان لكل مقدار من هذه الايام
لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه اضمار اي هذا يوم لا ينطقون
فيه بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق كما يقال
لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيا وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون وقال الفرا اراد بقوله لا ينطقون تلك الساعة
وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما تقول اتيتك يوم
يقدم فلان والمعنى ساعة تقدم وليس اليوم كله لان القدوم انما يكون
في وقت يسير ولا يمتد في كل يوم وأجاب ابن الخطيب بان قوله تعالى
لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق لا يفيد العموم لا في الانواع ولا في الاوقات
بدليل انك تقول فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير وتارة
يقول فلان لا ينطق بشي والبتة فهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق
مشترك بين الدايم والموقت واذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي
في صدقه عدم النطق ببعض الاشيا وفي بعض الاشيا في بعض الاوقات
وذلك لا ينافي حصول النطق بشي اخر في وقت اخر فيمكن في صدق
قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت واحد وهو
وقت السؤال فان قيل لو حلف لا ينطق في هذا اليوم حنث في نطقه
في جزء منه قلنا ذلك لعرف الايمان وبحثنا في عرف اللفظ من حيث هو
قال ابن الخطيب فان قيل كيف لا يؤذن لهم فيعتذرون يوهم ان لهم
عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة فالجواب ان ليس لهم عذر
في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيه عذرا فهم لا يؤذن لهم
في ذكره وذلك الفاسدة **قوله** هذا يوم الفصل جمعناكم هذا
نوع اخر من انواع تهديد الكفار وتخويفهم ان يقال لهم هذا اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلايق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين قال
ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين
من قبله فان كان لكم كيد فكيدون اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون
فاحتالوا لانفسكم وقاوموني ولن تجدوا ذلك وقيل فان كان لكم كيد اي قدرتم
على حرب فكيدون اي حاربون رواه الضحاك عن ابن عباس ايضا قال
يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا وتحاربونني فاليوم حاربوني وقيل
انكم كنتم في الدنيا تعملون المعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن
انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه
الصلوة والسلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون **قوله** ان المتقين في
ظلال وعيون قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك
بالله تعالى لان السورة من اولها الى اخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم
قال ابن الخطيب فيجب ان يكون هذه الاية مذكورة لهذا الغرض والا
لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بان يكون الوعد
للمومنين بسبب ايمانهم فاما من جعله بسبب الطاعة فلا يليق بالنظم
وايضا فان المتقي للشرك يصدق عليه انه متق لان غاية هذا انه عام مخصوص
فيبقى حجة فيما عدا محل التخصيص وايضا فان يحمل المطلق على المعنى الكامل
اولى واكمل انواع التقوى تقوى الشرك فالحمل عليه اولى وقال بعضهم هذه
الاية ايضا من جملة التهديد لان الكفار في الدنيا يكون الموت عليهم اسهل من ان

King Saud University
Copyright King Saud University